

**السنن الإلهية وسؤال المنهج في الأدب الإسلامي: قصة ورقة من الرملة
لغسان كنفاني أنموذجا**

***The Divine Sunnah and the Question of Introduction to Islamic
Literature: The Story of a Paper from Ramla by Ghassan
Kanafani as an Example***

د. عمار الوكيل: أستاذ اللغة العربية، الثانوي التأهيلي، الرباط، المغرب

Dr. Omar ElWakili: Arabic High school Teacher, Rabat, Morocco.

Email: mrelwakili@gmail.com

DOI: <https://doi.org/10.56989/benkj.v3i5.346>

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى اعتماد بدائل منهجية جديدة في فهم وتحليل وتأويل النص الأدبي الإسلامي، بالانطلاق من مسلمة قوامها أن المعرفة العلمية هي وليدة مناهج تطوّر سيرورتها، فتكون المفاهيم فيها محكومة بقوانين تعلل وجودها معرفياً، وتجعل منها مادة لتعميق الفهم، وتتخذها إطاراً نظرياً يرسم حدود المنهج. والنظر بهذا المنطق في المنهج السنني يجعل منه لونا آخر من التحليل، زبدة الحقيقة فيه أنه قانون الله في أرضه، وإطاره النظري والمعرفي كتاب الله تعالى وسنة نبيه. جاعلين من قصة "ورقة من الرملة" لغسان كنفاني أنموذجاً لتطبيق هذه التصورات النظرية.

الكلمات المفتاحية: المنهج، السنن الإلهية، أدب إسلامي، القصة، غسان كنفاني.

Abstract:

This study aims to adopt new methodological alternatives in understanding, analyzing and interpreting the Islamic literary text. Starting from an axiom based on the fact that scientific knowledge is the result of curricula that frame its process, so its concepts are governed by laws that justify their existence epistemologically, make it a material for deep understanding, and take it A theoretical framework that defines the limits of the curriculum. Consider this logic in the Sunni curriculum Makes it another type of analysis, The summary of its truth is that it is God's law in his land. And its theoretical and cognitive framework is the Book of God and the Sunnah of His Prophet. They are based on the story "A Paper from Ramla" by Ghassan Kanafani model to apply these theoretical perceptions.

Keywords: method, Cosmic Laws, Islamic literature, story.

المقدمة:

إن الناظر بعين البصيرة في هذا الكون يدرك بالدليل القاطع والبرهان الساطع أن الله عز وجل خلقه وفق نظام تحكمه قوانين ثابتة، هي سنن الله التي تحدث عنها القرآن الكريم في مواضع عدة، مشكلا بذلك منهجا ربانيا في الفقه السنني. وقد آلينا على أنفسنا أن نجعل من السنن الإلهية منهجا في فهم وتحليل النص الأدبي الإسلامي، واتخاذها نموذجا يقتدى به في الدراسات الأدبية، وتصورا يعالج جانبا من جوانب الأزمة في الفكر الإسلامي، ويجعل من العقلانية الإسلامية سبيلا لفهم الحياة والكون، وأداة لتحصيل المعرفة، ومادة للإجابة عن التساؤلات المحيرة. ثم إن الأدلة التي ندرك بها منطق المنهج هي قانون سنني، وما هو عليه من الحجة والبرهان في التعليل والاستدلال.

وإذا كان الأدب الإسلامي يسعى إلى الرفع من قيمة الإنسان وينهض بهمه العالية لزرع القيم النبيلة، فإن سنن الله تعمق حقيقة الوجود الإنساني (سنة الاستخلاف)، التي لا تنفصل عن التحرك وفق عالم الأسباب بصفتها قوة موجهة لمجرى الأمور، وتكفلها بصناعة المستقبل الذي نطمح إليه (سنة التغيير)، وهو عنصر يمكّن الإنسان من رصد التغيير الذي يمكن أن يقع. وعليه، فالمنهج السنني مادة لصناعة الإنسان وفهم واقعه.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

إن استيعاب المنهج السنني يستدعي الوعي بطبيعة البدائل المعرفية، من حيث القدرة على الاستنباط المنهجي وجعلها أداة لتجلية المقاصد والدلالات التي يتضمنها النص، من حيث أثرها في المتلقي، وغاية القصد فيه كفاية بالبرهان، وما عليه قانون التوازن البشري في هذا الكون بالاستدلال. وهو ما يدفعنا إلى تقديم أسئلة نرسم للقارئ من خلالها عمق مقصدنا وجوهر وعينا.

- ما مفهوم السنن الإلهية؟
- ما مقاصدها ودلالاتها؟
- وهل يمكن الحديث عن منهج سنني؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي أهم خصائصه ومميزاته وقوانينه؟
- وما أهميته في تحليل النص الأدبي الإسلامي؟
- وما نصيب الدرس الأدبي من السنن الإلهية؟

منهج الدراسة:

استمدت الدراسة آلياتها النقدية والتحليلية والنظرية والمعرفية والمفاهيمية من المنهج الإسلامي الذي ينبع من روح العقيدة وثوابتها ومعتقداتها، بمنطق سنني وتعليل برهاني. قوامه قانون

الله في أرضه، بحيث تكون السنن الإلهية مادة لتعميق الوعي بطبيعة التقلبات التي يعيشها المجتمع، ويكون النص الأدبي وسيلة لتجسيد ذلك.

أهداف الدراسة:

تكمّن في الكشف عن طبيعة القوانين السننية واتخاذها منهاجاً في فهم النصوص الأدبية وتحليلها وتأويلها.

- رسم معالم منهج إسلامي في الدرس الأدبي.
- الانطلاق من القرآن الكريم لتعميق الوعي بنجاعة هذا المنهج.
- عدم التبعية لكل ما أنتجه الغرب من مناهج وضعت أساساً لفهم نصوصهم.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في رسم معالم المنهج السنني، واتخاذها منهاجاً إسلامياً، يعمق الوعي بحقيقة النص ويوضح المقصد الذي وضع من أجله.

1- مدخل مفاهيمي في السنن الإلهية:

مفهوم السنن الإلهية:

جاء في لسان العرب "السنن جمع سنة، وهي الطريقة المحمودة المستقيمة، وسنن الرجل قصده وهمة"¹، وهي بهذا التصور منهج في فلسفة الحياة. وعليه، فالسنن الإلهية هي "طريقة حكمته الجارية مع الأسباب المقتضية لمسبباتها، كما قدرها وأجراها"²، وهي في تصورنا فلسفة حياة قائمة على قوانين ثابتة وصارمة تجري على البشرية. كما أنها لا تتبدل ولا تتغير، مصداقاً لقوله تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) (الفتح: 23)، وقال أيضاً: (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) (فاطر: 44).

وتنقسم إلى قسمين: سنن كونية وهي التي تنظم حركة الموجودات والكائنات وفق نظام دقيق لا يقبل الخطأ أبداً، وإن شئنا قلنا هي النواميس التي أقام الله عز وجل عليها حياة البشرية، ولا مجال للصدفة فيها، قال تعالى: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس: 40)، وسنن تشريعية مبنية على الأمر والنهي، قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص226، (بتصرف).

² - بن صالح الحميد حسن (2011)، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم، ط 2، دار الفضيلة الرياض، ص20.

خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)(المؤمنون: 115)؛ فالأولى قائمة على القدر الذي وجب علينا الإيمان به، والثانية على الشرع الذي ألزمتنا به.

والحاصل مما سبق أن السنن الكونية راجعة إلى المشيئة ونافذة في الخلق، لقوله تعالى: (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) (الإنسان: 30)، فتكون إرادة الخالق جارية على المخلوق. أما التشريعية فراجعة إلى سلوك البشر وأفعالهم وتصرفاتهم، وما يمكن أن يترتب عنها في الدنيا والآخرة. ويمكن تقسيمها إلى سنن الخلق وسنن الأمر، مصداقا لقوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(الأعراف: 54)، وستكون الثانية محط دراستنا ومنتهى غايتنا، وعليها سنبنى الأفكار وعلى منطقتها بمقدار.

مقاصد السنن الإلهية ودلالاتها وسياقاتها:

أما علاقتها بالمقصد فنابعة من قوله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ)(النحل: 9). والقصد في لسان العرب "الطريق المستقيم"¹ فتكون السنن بحث في ماهية المقاصد بغاية الاعتبار. وتكون الدلالات السننية هي سنن السنن أو هي عمق المضمون الذي يؤطر النص ويولد معناه. كما أنها تختلف بحسب النصوص والخطابات، وبحسب السياقات في الحالات والتحويلات، ومعنى هذا أن سياق الدلالة السننية واجب المعرفة، وأصولها ومقاماتها شرط المعرفة. وعليه، فالسياق هو خطاب آخر يوازي النص ويعمقه دلاليا.

أنواع السنن الإلهية:

سنة الابتلاء، سنة الصبر، سنة التمحيص، سنة التغيير، سنة الأخذ بالأسباب، سنة الانتصار، سنة التمكين، سنة الاستخلاف، سنة التدافع، سنة التمكين، سنة التداول، سنة الاختلاف، سنة التسخير، سنة المترفين (الرخاء)، سنة العسر اليسر، سنة الاستدراج، سنة الإملاء، سنة الاستبداد والطغيان، سنة العدل، سنة التوازن والاستقرار، سنة الاستعداد، سنة الاختيار = الاصطفاء والولاية، سنة الهداية، سنة الإعمار، سنة التأجيل = الإمهال = الإملاء، سنة التواكل، ... إلخ.

ويمكن تقسيمها إلى: سنن تاريخية، اجتماعية، نفسية، اقتصادية، وإلى: سنن النصر، الهزيمة، وإلى: سنن المؤمن، الكافر. وإلى: سنن مادية، معنوية. ثم إلى: سنن الحق، الباطل. وإلى: سنن الأفراد (خاصة)، الجماعات (عامة) ... إلخ.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج5، مصدر سابق، ص264.

أما من حيث التطبيقات النصية، يمكن الحديث عن سنن نصية، وسنن سياقية، الأولى متعلقة بالتحليل التركيبي السنني للبنية السردية، ويمكن أن نمثل لها بمنطق الأفعال عند تودوروف. وينظر إلى الثانية في توافق الأحداث السردية مع أحداث التاريخ، لأن مضمون النص ينطق بلسان حال عصره.

2- المنهج السنني

أول ما نبدأ به الكلام، هو أن صورة المنهج هنا نابعة من مشكلة البحث، فهو لذاته من حيث التعقيد لمنهج سنني يرخي بثقله المعرفي ليشمل النص الأدبي في تعدد حقوله المعرفية وقضاياها الإنسانية، بأدلة عقلية تتفاعل وتتداخل مع روح الأدب الإسلامي، ومنطق فهمه. وجعلها من مقومات التحليل الممنهج في التعليل والبرهنة والتأويل، وفي الحالات والمقامات، وفي ارتباطها بالأفعال في الصفات والتصرفات وما ينتج عنها من تحولات ودلالات.

إن تخصيص المنهج السنني بالأدب الإسلامي نابع من الوعي بشمولية السنن وتفرعها وامتدادها، كما أنه ينطلق من جوهر الإشكالية في بعدها المقاصدي، ويجعل من المنهج بنية معرفية ومفهومية متناسقة، تمد القارئ بشروط الفهم الصحيح، يقوم القياس البرهاني الذي يربط الأسباب بالمسببات لتتبين مقومات المنهج السنني، ومدى نجاعته التحليلية في جوانبه التكاملية، واتخاذها علما يختزل معايير الفهم الحقيقي للحياة والإنسان والكون.

وفهم من هذا النوع لا بد له من تأصيل يستمد أسسه من المنهج الإسلامي، قال تعالى: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (المائدة، 50)، إن اقتران المنهاج بالشرعة تأصيل للمنهج السنني، وجاء في تفسير الطبري: "روى الصوفي عن ابن عباس، شرعة ومنهاجا، سبيلا وسنة، والسنن الطرائق الموصلة إلى المقاصد"¹، وهي نقطة الاتصال بين المنهج والسنن، فيكون المنهج بهذا التصور هو طريق الحق الموصل إلى الحقيقة، وهذا ما نراه صاحب اللسان بقوله: "نهج طريق بين واضح، والجمع نهجات ونهوج، والمنهاج كالمنهج، وأنهج الطريق وضح واستبان وصار نهجا واضحا بينا، والمنهاج الطريق الواضح، والنهج الطريق المستقيم"² وتعريف ابن منظور يختزل مفهوم المنهج السنني وحقيقة مقصده.

إن الحديث عن مشروعية المنهج السنني في الأدب الإسلامي نابعة من رسالة الأديب المسلم ومقصده من الحياة، وهو ما ذهب إليه أستاذه الدكتور محمد بن عبدالعظيم بنعزوز بقوله:

¹ -انظر تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتاب العالمية بيروت، ط3، 1999م، ج1، ص85.

² - ابن منظور، لسان العرب، ج2، مصدر سابق، ص383.

"المنهج وسيلة يتوسل بها للوصول إلى هدف معين"¹، ثم يذهب أبعد من ذلك ليخصص الأدب الإسلامي بمنهج يوافق تصوره، يقول: " المنهج النقدي الإسلامي يقوم على نظرة الإسلام للإنسان والكون والحياة، وما يترتب عنها من علائق. فالناقد المسلم يدرس النصوص الأدبية ويحللها من خلال منظوره الإسلامي"، مع إمكانية إفادته في المجال الفني من المشترك الإنساني الذي لا يتعارض أو يتصادم مع ثوابت الإسلام"². وكلام هذا معناه، وإلى عمق التصور يرجع مغزاه في رسم منهج واضح وعمق الفهم ويبلغ المقصد ويجلي الغاية من الأدب الإسلامي. كما أنه يتولد من نسق الحضارة التي أنتج فيها النص، ليحافظ على هويته الثقافية ويتمثل قيمه الإسلامية، وهذا ما نبه إليه الدكتور وليد إبراهيم قصاب بقوله: "إن النقد كالأدب من عناصر المحافظة على الشخصية الثقافية الحضارية لأية أمة من الأمم"³. وقد وجدت عنده قولاً فتح بصيرتي وشحذ همتي ورأيت فيه اختزالاً للمقصد من اقتراح منهج سنني وهو: "من صحح مقياساً للأدب فقد صحح مقياساً للحياة". والمنهج السنني تصحيح لفهم حقيقة الحياة، ومقصد من مقاصدها. وعليه، " فخليق أن يكون تصحيح مقاييس الحياة هم كل أديب أو ناقد غيور على هوية أمته وحضارتها"⁴، وأرجو أن يكون همي استجابة لهذا التصور الذي وجهني إليه أستاذي الدكتور محمد بن عبدالعظيم بنغروز وأيقظني من سبات الاعتراب المنهجي في النقد العربي. والحق أقول إن اقتراح منهج السنن الإلهية في تحليل النصوص الأدبية يرجع إليه، فقد عمل على رسم معالم هذا المنهج تنظيراً وتطبيقاً، وقارئ "معجم الأدب الإسلامي" لا شك سيدرك ذلك.

3- علمية المنهج السنني:

يتأسس المنهج السنني على جملة من القواعد التي ترسم حدوده، وهي منطوق لفهم عميق وناموس سنني دقيق، يحتاج إلى برهنة تثبت توافق القوانين الداخلية والخارجية للنص، بناء على الحدود المنطقية للمنهج التي تجعل من علمية النقد نابعة من امتلاكه للمنهج، أنه يختزل نظرية الأدب في جوهر تساؤلاته. ما الأدب؟ وما علاقته بالحياة والمجتمع؟ وهذا ما جعل منه مشروعاً متكاملًا لفهم حقيقة الوجود الإنساني، بقوانينه البرهانية التي تتميز بالفاعلية وتخضع للقياس، وإذا كان النحو هو منطوق اللغة فإن السنن الإلهية هي منطوق النص والخطاب ومن قوانينها أنها:

- تخضع لمنطق التحولات.

1 - بنغروز محمد بن عبدالعظيم (2003)، معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، ط 1، دار كنوز إشبيلية، الرياض، ص224.

2 - المصدر السابق، ص225.

3 - قصاب وليد إبراهيم (2023)، مجلة الأدب الإسلامي، ع.117 انظر الافتتاحية. من دون صفحة.

4 - المصدر السابق، من دون صفحة.

- تخضع لمنطق الدليل والبرهان وهما أساس حجية السنن.
- تنظر إلى الكليات المقاصدية من عموم وتدرج وإطراد.
- تنطلق من أدلة عقلية وحسية كونية.
- تحمل اللفظ في النص على العموم والخصوص.
- تربط الفروع بالأصول والعكس صحيح.
- توجه التفكير إلى الفهم الصحيح.
- لا تقبل التناقض.
- قابلة للاستنساخ ... إلخ.

فالقانون فيها ثابت وإن كانت أشكاله مختلفة فالنعيم واحد وأشكاله مختلفة.

4- المنهج السنني ومنطق تحليل النص الأدبي

إن قوانين التحليل السنني للنص الأدبي متشعبة ومتداخلة لدرجة يصعب حصرها في مقال واحد، لذلك سنقدم بعضاً منها، مع تنبيه القارئ إلى بنيتها المعرفية ومرجعيتها العقدية على مستوى التحليل، واتخاذها معياراً لوزن النص الأدبي بميزان شرعي لضبط سلامة الفهم. كما يحتاج المنهج هنا إلى برهنة تثبت توافق القوانين الداخلية والخارجية للنص؛ لأن "العقيدة تحفظ التوازن بين جميع هذه القوى على السنن الربانية"¹ من جهة، "وهي وحدها التي تعطي للعمل وزنه وقيمه الجوهرية في الدنيا والآخرة"² وحرري بنا أن نخصص موضوع البحث بدقة وهو دراسة البنية الحكائية والبنية السننية في قصة "ورقة من الرملة"³ لغسان كنفاني.

يعد غسان كنفاني من أبرز أدباء ومناضلي فلسطين (1936 عكا - 1972 بيروت)، عاش النكبة في سن الطفولة وتجرع معاناتها وشهد وقائعها، وهو ما تجسد في أعماله الأدبية مرسخاً بذلك فكرة المقاومة في الشعب الفلسطيني، اغتيل من طرف (الموساد).

- البنية الحكائية: هي الأحداث، الشخصيات، الزمان، المكان، التحولات، العلائق.
- الحدث: هو " كل ما تنتجه الشخصية أو تتلقاه وما يحدث لها"⁴؛ وبذلك فهو عنصر أساس في تحريك عجلة السرد.

1 - النحوي عدنان علي (1989): الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ط1، دار النحوي - الرياض، ص78.

2 - المصدر السابق، ص79.

3 - غسان كنفاني (1962): أرض البرتقال الحزين، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت، ص43-48.

4 - معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، دار كنوز اشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط1، 2013م، ص106.

أحداث القصة:

- إيقاف جنود الاحتلال لمدنيين على طرفي شارع الرملة.
- طلبهم من المدنيين برفع أيديهم متصلبة في الهواء.
- اكتشاف أحد الجنود أن أم الطفل (السارد) تريد وضعه أمامها ليتقي بظلها من شمس تموز.
- سحب أحد الجنود للطفل بعنف وأوقفه بعنف على ساق واحد وذراعيه فوق رأسه.
- مشاهدة الطفل لطريقة دخول جنود الاحتلال إلى الرملة.
- مشاهدته لهم وهم يبحثون عن حلي العجائز والصبايا.
- حزن الأم وهي تنظر إلى طفلها.
- ارتفاع بعض الاحتجاجات اليائسة.
- نظرة الطفل إلى وجوه الناس التي تبعث بالأسى.
- إحساس الطفل بشعور عجيب عند رؤيته لمجندة يهودية تعبت ضاحكة بلحية أبي عثمان وهو يضم إلى جنبه ابنته الصغيرة والوحيدة فاطمة.
- تصويب الجندي لثلاث طلقات على الطفلة فاطمة.
- رؤية الطفل لوجه أبيها يتموج بالأسى والدم يهبط على شعر ابنته.
- حمل الأب لجثة ابنته فاطمة وهو ينظر بصمت رهيب.
- نظرة الطفل إلى زوجة أبي عثمان وهي تبكي بأعين حزين.
- توجه جندي يهودي نحوها رفسها بقدمه وأطلق رصاصة في صدرها.
- توجه الجندي نفسه نحو الطفل وصفعه مرتين.
- نظرة الطفل إلى أمه وهي تبكي بصمت.
- رغبة الطفل بأن يخبر أمه بأنه لم يتألم كثيرا.
- عودة أبي عثمان إلى مكانه بعد دفنه لفاطمة ليصدم بمقتل زوجته.
- حمله لجثة زوجته.
- تذكر الطفل لحكايات أبي عثمان.
- نظرة الطفل إلى أمه وهي تتابع أبا عثمان بنظرها وهو ذاهب إلى دكانه.
- جلبه لفوطة بيضاء يلف بها جثة زوجته.
- ذهابه إلى غرفة القائد ليعترف بما يعرف.
- سماع الناس انفجارا هدم الدار وضاعت معه أشلاء أبي عثمان.
- عدم استطاعة الناس تحقيق طلب أبي عثمان بدفنه في مقبرة الرملة.

الشخصيات:

إن تحريك عجلة السرد لا تتم إلا بشخصيات يسند لها فعل الحدث، فهي فاعلة للأحداث ومنفصلة بها، والشخصية في القصة الإسلامية " لا تعدو أن تكون جزءاً من هذا الواقع المحكي، ومن ثم فهي معادلة للإنسان ورمزة إليه"¹، وهي هنا تجسد واقع الإنسان الفلسطيني ومعاناته في صد العدو الغاصب ويمكن تقسيمها إلى:

صفات				نوعها	الشخصيات
نفسية	العقيدة	الاجتماعية	الخُلُقِيَّة		
خائفة	مسلم		محب لأمة	طفل صغير	رئيسة إخبارية الطفل (السارد)
مضطربة قلقه	مسلم مقاوم مجاهد	حلاق	محبوب عند الجميع متواضع	عجوز منحنى الظهر	رئيسة أبو عثمان
خائفة	مسلمة		تحب طفلها	صبورة	رئيسة أم الطفل
متعجبة	مسلمة مجاهدة		بريئة	طفلة صغيرة سمراء اللون	رئيسة فاطمة
حزينة يائسة	مسلمة مجاهدة		بريئة	عجوز	رئيسة زوجة أبي عثمان
مهتزة	كافرة	جندي	ظالمة معتدية	سمراء	ثانوية الجندي اليهودية
مرضية مهتزة	كافر	جندي	ظالم وعنيف		ثانوية الجندي اليهودي
خائفة	مسلمين		غافلة ومقصرة	ضعيفة	محايدة الناس
	كافر	جندي	ظالم محتل		ثانوية القائد
	كفار	جنود	لصوص مجرمين		ثانوية اليهود
					مضمرة أب الطفل
					مضمرة أخ الطفل

¹ - بنعزوز محمد بن عبدالعظيم (2007)، قصة عبدالنور بين الاستخفاء والظهور: دراسة تحليلية لقضايا الفضاء في السرد العربي القديم، ط 1، منشورات النادي الأدبي بالرياض، ص 10.

علائقها:

"تأسس العلائق على الأدوار التي تنهض بها الشخصيات في القصة"¹.

- علاقة الطفل بأمه = حب وعطف، أمومة.
- علاقة الطفل بالجنود = صراع وعداوة.
- علاقة الطفل بأبي عثمان = تقدير واحترام وحب.
- علاقة أبي عثمان بابنه = حب، أبوة.
- علاقة أبي عثمان بزوجته = حب ووفاء.
- علاقة أبي عثمان بالجنود = عداوة وصراع.

ويمكن أن نتحدث كذلك عن علاقة الشخصية بالمكان (القدس - فلسطين) فهي الوطن عند الشخصيات المسلمة، وهي الاستعمار عند الجنود، وهي أساس الصراع.

الثنائيات في القصة:

- **ضدية:** وهي ثنائية التعارض بين الحق والباطل، المبنية على عدم التوازن بين القوى، المتجسدة في الصراع بين الجنود والمدنيين، والأكثر من ذلك أن المدنيين هم نساء وأطفال وعجزة، ونجد كذلك ثنائية الصمود والهروب، وثنائية الغربة والوطن.

المكان في القصة:

- **عام:** وهو أرض فلسطين، وقد جاء عنوان المجموعة القصصية بمؤشر مكاني "أرض البرتقال الحزين".
- **خاص:** الشارع، الرملة، القدس، دكان أبي عثمان، المقبرة، غرفة القائد.

الزمان في القصة:

- يحضر مؤشر واحد دال على الزمان في القصة وهو شهر تموز، لكن هناك ما يؤطره في القصة، وهو فترة "نكبة فلسطين".

دلالات القصة:

تنتفح الدلالة في القصة على واقع الإنسان الفلسطيني وما عاشه ويعيشه من معاناة الاحتلال والتقتيل والتدمير، وقد عمل غسان كنفاني على رسم معالم معاناة شعبه بأكمله، ويمكن تقسيمها إلى:

¹ - بنعزوز محمد بن عبدالعظيم (2009)، الغرابة بين التلقي والدلالة في السرد العربي القديم، ط 1، مؤسسة اليمامة - الرياض، ص43.

- دلالة تاريخية: وتتمثل في نكبة فلسطين.
- دلالة سياسية: تتمثل فيما أحدثه الاحتلال الصهيوني من انقسامات في صفوف الأحزاب والنخب الفكرية الفلسطينية.
- دلالة نفسية: تجسد عمق معاناة الإنسان الفلسطيني.
- دلالة اجتماعية: طبيعة الحب المتبادل بين سكان الرملة.
- دلالة عقدية: تجسد الصراع الحاصل بين المسلمين واليهود.
- دلالة ابتلائية: تجسدها شخصية أبي عثمان.

البنية السننية:

نقصد بالبنية السننية تلك الشبكة التي تكون فيها كل سنة سببا في سنة أخرى، وكل سنة نتيجة لسنة، وما دامت البنية الحكائية هي تعبير عن أفعال البشر فإن البنية السننية هي القوانين التي تحكم هذه الأفعال وترسم منطق التحول فيها، وهو ما يثمن عمق التوازن الاجتماعي في غياب تام لأي عامل من عوامل التناقض، وسنعمل على استثمار منطق الأفعال عند "تودوروف"¹، في التحليل البنوي للمحكي، خصوصا في التدرج من حيث التماثل بين شخصيتين، وفي التوازي المختزل في متواليات سردية تتشابه وتتباين. مستحضرين كذلك مبدأ التماثل عند (ستراوس) القائم على شبكة العلاقات الاستبدالية، وهو منطق تتابع الأحداث.

أما التوازن فيقوم على ثلاثة عناصر (الفعل، الاختلال، التوازن).

إن اختلال التوازن هو سنة الابتلاء في التحليل السنني، المتولد عن فعل اختراق القانون، وعليه إعادة التوازن هو الرجوع إلى القانون، إلا أنه لا يتحقق بالطريقة نفسها التي كان عليها في الأول، وهذا ما يجعلنا نتحدث عن توازن جزئي وتوازن كلي، وذلك بالاستناد إلى طبيعة التحولات البسيطة أو المركبة، وتمثل الأولى التحول من الفقر إلى الفتن مثلا، ويسمى "تودوروف" الثانية التحولات المعقدة وتدل "على عمليات نفسية أو على العلاقة بين حدث وتمثيله"²، وأن هذا الاختلاف في التحولات مرتبط بعدد المحمولات المتدخلة فيه. ولزومية المنهج السنني فيه أنه قابل للتنبؤ.

تبدأ قصة "ورقة من الرملة" بسنة الابتلاء وهي دخول جيش الاحتلال إلى الأرض الفلسطينية، ابتلاء أمة بأكملها وهو ابتلاء عام، قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

¹ - تزفيتان تودوروف (2011)، شعرية النثر، ترجمة عدنان محمود محمد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

² - المصدر السابق، ص135.

وَنَقَصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (البقرة: 155-156) وقال أيضا (لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (آل
عمران: 186).

وهناك ابتلاء خاص يتمثل في الجرم الذي ارتكبه جنود الاحتلال ضد المدنيين (إيقافهم على
طرفي شارع الرملة وأيديهم مصلبة فوق رؤوسهم، عبث اليهود بلحية أبي عثمان، وقتلها لابنته
الصغيرة فاطمة ولزوجته "شدة الابتلاء").

وقد خلف هذا الفعل أثرا بليغا في نفسية الرجل "أرى وجه أبي عثمان يتموج بأسى مريع".

إن ابتلاء المؤمن لا شك يؤدي به إلى سنة الصبر "كان صامتا جامدا ينظر أمامه بهدوء
رهيب" "يسير بهدوء"، وعليه فإيمان الرجل عامل من عوامل صبره القوي "كان يؤمن بكل شيء"
"كل ما كان يطلب هو ان يدفن في مقبرة الرملة الجميلة المزروعة بالأشجار الكبيرة"، وبحسب شدة
الابتلاء يمتحن الإنسان، وهو دلالة على خيرية المبتلى. وهنا تحضر "سنة التمحيص" مصداقا
لقوله تعالى: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) (آل عمران: 141). وجاء التمحيص في
لسان العرب بمعنى "التخليص والتنقية"، أي تنقيته من الذنوب الناتج عن صبره.

لكن أبا عثمان لم يهن ويركن لهذا الظلم وإنما اتخذ الأسباب لدفع هذا الظلم. وعليه، فسنة
الأخذ بالأسباب تؤدي إلى سنة التدافع، قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ
الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) (الأنفال: 36)، وقال
تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) (البقرة: 251)، والدفع في لسان العرب
"إزالة بقوة"¹، والتدافع غالبا ما يكون بين الحق والباطل، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) (النساء: 76)، ودفع الباطل أخذ بالأسباب المؤدية إلى
التغيير. "سنة التغيير" تغيير المنكر، وهو من مسببات النصر، "سنة النصر". ومن تجليات الأخذ
بالأسباب في القصة قول السارد "وعندما بدأت حرب فلسطين الأخيرة، باع كل شيء واشترى
اسلحة كان يوزعها على أقاربه ليقوموا بواجبهم في المعركة، لقد انقلبت دكانه إلى مخزن للمتفجرات
والأسلحة، ولم يكن يريد لهذه التضحية أي ثمن".

إن أبا عثمان وهو في شدة ابتلائه قرر أن يموت مجاهدا، فهو لا محالة سيقتل لأن من قتل
ابنته وزوجته لا شك أنه مقدم على قتله، لكن الأمور لم تسر على هذا النحو، يقول السارد " ذلك
أنه عندما ذهب إلى غرفة القائد ليعترف بما يعرف، سمع الناس انفجارا هائلا هدم الدار وضاعت

¹ - لسان العرب، ج 13، ص 59.

أشلاء أبي عثمان بين الأناض: قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ) (آل عمران: 169). فانقمام الرجل من الجنود انتصار له ولوطنه، وهو ما يؤدي إلى "سنة التمكين" في الأرض، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن الصادق، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) (يوسف: 56).

والتمكين هو أن ينزل في أي مكان شاء من بلاد مصر، وهو دال على القوة في كل شيء، والتمكين من الشيء الإقدار عليه، وهو أساس سنة الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: 29)، والاستخلاف في الأرض إعمار لها وتطبيق شرع الله فيها.

الخاتمة:

نخلص في الأخير إلى أن اعتماد المنهج السنني في تحليل النص الأدبي أساس الفهم الصحيح، وميزان الصحة فيه أنه قانون الله في أرضه. كما أنه يعمق الوعي بحقيقة المعاناة التي يعيشها الإنسان الفلسطيني، ويقترح السبل المؤدية إلى النصر، وهو ما حاول غسان كنفاني أن يجسده في مشروعه الإبداعي.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج:

- تبيين أن ثمة نجاعة في المنهج السنني في فهم النص الأدبي.
 - هناك إمكانية لاتخاذ المنهج السنني أداة لتحليل النص الأدبي وتأويله.
 - يمكن اعتبار المنهج السنني من القوانين الإلهية لفهم أسباب النصر أو الهزيمة.
 - يمكن جعل المنهج السنني وسيلة لفهم أسباب النصر.
 - بالإمكان اتخاذ المنهج السنني منهجا في تدريس النصوص الأدبية.
- أوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات:
- ضرورة استثمار المنهج السنني في تحليل النص الأدبي.
 - ضرورة جعل المنهج السنني أداة لفهم الواقع الذي نعيشه.
 - ضرورة اتخاذ المنهج السنني وسيلة للخروج من التخبط الذي يعيشه الإنسان المسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر-بيروت، ط2.
- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتاب العالمية، بيروت، ط3، 1999م.
- معجم المعاني (نسخة رقمية)
- تزفيتان تودوروف (2011)، شعرية النثر، ترجمة عدنان محمود محمد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.
- حسن بن صالح الحميد (2011)، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم، دار الفضيلة، الرياض، ط2.
- محمد بن عبدالعظيم بنعزوز (2013)، معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، دار كنوز اشبيليا - الرياض، ط1.
- محمد بن عبدالعظيم بنعزوز (2007)، قصة عبدالنور بين الاستخفاء والظهور، دراسة تحليلية لقضايا الفضاء في السرد العربي القديم، منشورات النادي الأدبي - الرياض، ط1.
- محمد بن عبدالعظيم بنعزوز (2009)، الغرابة بين التلقي والدلالة في السرد العربي القديم، مؤسسة اليمامة، الرياض، ط1.
- غسان كنفاني (1987)، أرض البرتقال الحزين - مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت، ط1.
- وليد ابراهيم قصاب (2023)، مجلة الأدب الإسلامي، تصدر عن رابطة الادب الإسلامي العالمية، ع 117.